تجارة لن تبور

تأليف

أبو سلمان طارق بن عبد الرحمن اللغوى

مكتبة أحمد

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م

رقم الإيداع
١٩١٨٤ / ٢٠٠٥م

مكتبة أحمد

مصر- المنصورة
هاتف: ٠١٢٧٠٥٣٢٥١ـ ٠١٠٦٨٦٠٨٨٠ ـ ٠١٠٤١٦٩١٧٣

«بسم الله الرحمن الرحيم»

بين يدى الرسالة

حديث ذو شجون !!!

قال الله جل جلاله فى محكم التنزيل:

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

[الحجر: ٩]

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[الحشر: ٢١]

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾

[الإسراء: ٩، ١٠]

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢].

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ

السَّلام وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

{المائدة: ١٥، ١٦}

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

{الشورى: ٥٢}

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ {الأنعام: ١٥٥}

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

وبعد؛

فهـذه - إخوتـاه - بعـض أوصاف القرآن العظيم، كما وصفه بها منزل القرآن سبحانه وبحمده، جلت قدرته، وتقدست أسماؤه وتعالى جَدُّه ولا إله غيره.

وإنـه - لكما وصفه خصومه وأعداؤه مشركو قريش فى زمن النبوة -

لـه لحلاوة وعليـه لطلاوة، وإن

أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق (*)،

وإنه يعلو ولا يُعلى !!!

ووالله إن قدر القرآن لعظيم، وإن فضله لجليل، وإن شرفه لكبير ولكن حقه اليوم ـ كما ترون ـ مُضيّع بيننا!!! وإلى الله المشتكى!!

أتظن ـ أخي الكريم (وأختي الفاضلة) أن الله أنزل هذا القرآن العظيم ليُقرأ على الأموات في قبورهم؟!!

(*) كثير الماء، والماء نبع الحياة، ﴿وجعلنا من الماء كل شئ حيّ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

هل أنزل الله القرآن ليوضع فى علب القطيفة الفخمة التى توضع فى مؤخرة السيارة وفى غرف الصالونات؟!! - كما يقول الشيخ محمد حسان بحق - هل أنزل الله القرآن ليوضع فى البراويز الفضية والذهبية ويعلق علي الجدران والحوائط؟!!

هل أنزل الله القرآن ليحلى به النساء صدورهن فى مصاحف صغيرة من الذهب المطعم بالجوهر؟!!

هل أنزل الله القرآن ليهديه الحكام والزعماء إلى بعضهم البعض، فترى الحاكم يستلم المصحف محنياً على كتاب الله ليقبله فى خشوع وخضوع - فى مشهد استعراضى بديع - كأنه عثمان بن عفان فى خشوعه وتبتله!!فى الوقت الذى يضيع فيه شريعة هذا القرآن فلا يحكم منها بحرف!!! ولا يريد!!

مفارقات!!.. ومفارقات!!... ومفارقات!!!

في زمن لا تنقضي عجائبه؟!!
إنه حقا حديث ذو شجون!!

ولكني مخافة الملالة عليك، أخلي بينك - أخي القارئ - وبين الرسالة..
والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم
والحمد لله رب العالمين

كتبه

أبو سلمان اللغوي

مصليا ومسلماً على خير الأنام ﷺ

●●●●●

تجارة لن تبور!!

قـلـت: أغـيـر الحديـث ـ وكـنـا مجـموعـة من الأصدقـاء ـ فسـألتـهم فجأة: متى ختمتم القرآن آخر ختمة؟!

قال الأول: أنا لا أقرأ بالترتيب!

وقال الثـاني: الحقـيقة أنـا لا أقرأ كثيراً ولكنى أسـمع إذاعة القرآن الكريم دائماً ـ فالمؤشر لا يتحول عنها.

قلـت: لا تقـرأ كثـيراً أم لا تـقرأ أصلاً!!..

قال: يعني.

وقال الثالث: أنا متعود أن أختم في رمضان.

وقال الرابع: وهو في الحقيقة أكثرهم طيبة وصلاحاً: أنا أختم كل شهرين تقريباً، وأحياناً كل شهر ونصف وأحياناً تستغرق الختمة أكثر من شهرين.

وقال الخامس: قراءة القرآن صعبة وأنا بصراحة لا أقرأ.

قلت: قراءة القرآن صعبة لأنك لا تحاول القــراءة ولا تجاهد نفـسك، ولا تبذل جهداً لتقــرأ الآية قراءة صحيحة، وأنــت إن فعــلت سـيحــل الله عقــدة لسانك؛ فــالقرآن قد استعجــم عليك ـ أي صعب على لســانك ـ لأنك لا تقرأ والممــارسة والــتمــرين ســبيــل التــقدم والتفوق في أي عمــل؛ أنتم يا إخواني هاجرون للــقرآن على درجات متــفاوتة حتى الــذى اعتاد أن يخــتم منكــم في شهرين ـ فهو أيضاً لــه نصيبه من هجر

القـرآن أخشى أن ندخـل جميعـاً تحت قولـه تعـالى: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُوراً﴾ [الفرقان: ٣٠] لقد كان سـلفنا الصالح ينظرون إلـى من يختم القـرآن في أكثر من أربعين ليلة علـي أنه هاجر للقرآن، فكيف بمن يختم في أكثر من شهرين؟! وكيف بمن لا يختم إلا في رمضان من كل عام؟! وكـيف بمن لا يختـم القرآن أصلاً؟! يا إخواني لقد صدق عثمان بن

عـفان ﷺ إذ يـقـول: (لـو طهـرت قلوبنا! ما شبعت من كلام ربنا)[١].

إنها ذنوبـنا ومعاصينا ـ ومـا تضعه على قلوبنا من حـجب تحول بيننا وبين التمتـع بالقرآن، إن هذه الذنـوب تقف فعـلاً حائـلا بيـننـا وبين الـقرآن! .. وأحيـانا لا تـكون الذنـوب محـرمات يقترفها الإنسان بـقدر ما تكون واجبات وفـرائـض يـضـيـعهـا صـاحـبـهـا؛

(١) رواه عبد الله بن أحـمد في «فضائل الـصحابة» (٧٧٥) من مرسل ابن عينية قال: قال عثمان.

وعموماً. . . . كـلما اعتصم الـعبد من الذنوب، كلما أقبل عـلى القرآن وكلما أقبل على القرآن كلما وجد حلاوته في قلبه؛ أذكـر أنني حينما كـنت أقرأ كل يوم خمسة أجزاء من القرآن، كنت أجد في نـفسى شـوقاً عـارماً لقـراءة الجزء السـادس ورب الكـعبـة؛ فإذا وُفِّـقْت لقراءة الجزء السـادس؛ أجد قراءة الجزء السابـع أحب إليّ من النـوم ـ مع طول سهري وحـاجتي إلى النـوم، في حين أننى أحـياناً لا أوفق لقـراءة جزء واحد

من القرآن، وحينها لا أجد في النفس إلا شعوراً بالوحشة من القرآن وشعوراً بثقل القراءة؛ وصد النفس عنها، أو قل الزهد في القرآن، وهذا من أعاجيب القرآن! وكأن القرآن فعلاً كائن حي أو إنسان عزيز النفس لديه أنفة، فهو يقبل عليك ما دمت متلهفاً عليه، وهو أشد منك إعراضاً - عنك - إن بدت منك محاولة للإعراض عنه، وصدق الله إذ يقول: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ (٤١) لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ

حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]
ولاحظ نفسك بنفسك! فإن القرآن معك.. خفيف عليك.. ما دمت معه مواظباً ومثابراً فإن أنت أعرضت يوماً وانشغلت كانت معاودة القرآن في اليوم التالي ثقيلة على النفس وهي في اليوم الثالث أثقل وأثقل، وعادة ما يتفلت الإنسان حينئذ، ويبتعد عن القرآن بالكلية، فإذا هو هاجر فعلاً للقرآن ـ لا يفتحه وأخشى أن أقول لا يطيقه!!!

أخي الحبيب:

إننا نـرى ـ في حسرة وأسـى ـ ما يُكـال للـمسلـمين اليـوم من ضـربات ساحقـة في مشارق الأرض ومغـاربها! ونشعر ـ والله ـ بالمرارة فـي حلوقنا من الذلة والمـسكنة التى يـعيشها المسـلمون اليوم.

ثم يسأل الواحد منا نفسه: ما هذا التردِّي والانحطاط والذل والهوان الذي ضُرِب على المسلمين في هذا الزمان؟

ما أسبابه؟ ولماذا صرنا على ما نرى؟

والجواب الذى لا ريب فيه ـ كما ينطق به كتاب ربنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]

إنه الحصاد المر والثمرات الخبيثة للإعراض عن القرآن، إننا بصراحة معرضون عن القرآن ـ أفراداً وجماعات، حُكّامًا ومحكومين، رجالاً ونساء ـ فمن أين يأتينا النصر والتمكين، والحال على ما ترى؟!

أخي المسلم (أختي المسلمة):

القرآن طريق النور:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾ [المائدة: ١٥]، **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ**

شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

القرآن سر الهداية وسبيل الفلاح:

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧]

القرآن التجارة التى لم تسمع الدنيا بمثلها:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ

وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠] وصدق الرسول ﷺ وهو يبين هذا الأجر الأعظم الذى ليس لطاعة من الطاعات - على تشعبها وتنوعها وتباينها - فيقول: «**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة؛ والحسنة بعشر أمثالها؛ لا أقول ألم حرف! ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**» (١).

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٩١٠).

وعن عقبة بن عامر ﵁ قال: خرج علينا رسول الله يوماً ونحن بالصُّفة (وأهل الصُّفة هم أفقر فقراء المسلمين على الإطلاق، وكان الواحد منهم يتلوى في الأرض من شدة الجوع! بعد يومين أو ثلاثة!! لم يذق فيها طعاماً لشدة الفقر والحاجة ﵃ وأرضاهم وأكرم نُزُلهم في دار الكرامة) فقال ﷺ: «**أيكم يحب أن يغدو** (يذهب) **كل يوم إلى العقيق أو بُطحان** (واديان على مقربة من المدينة) **فيرجع**

بناقتين كوماوين (أي مكتنزتين لحماً) في غير إثم ولا قطع رحم؟» قالوا: كلنا يحب ذلك يا رسول الله قال ﷺ: **«لأن يغدو أحدكم إلى المسجد فيقرأ أو يعلم آيتين خير له من ناقتين، وثلاث خير من ثلاث، ومن أعدادهن من الإبل»** (١).

والمعنى: أنه لو قرأ مائة آية لكانت خيرًا له من مائة ناقة، وهكذا...

(١) صحيح: رواه مسلم (٨٠٣).

القرآن يشفع لأصحابه:

ونعم الشفاعة شفاعةُ القرآن! قال ﷺ : **«اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»** (١) **« الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة»** (٢).

القرآن حُجة لك يوم القيامة أو حُجة عليك - والعياذ بالله - . . .

---

(١) **صحيح**: رواه مسلم (٨٠٤).

(٢) **حسن بشواهده**: رواه أحمد (٢/ ١٧٤)، والحاكم (١/ ٧٤٠). وابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥).

قال ﷺ : «**والقرآن حجة لك (إن عملت به) أو عليك**» (١).

القرآن عمارة الباطن وصلاح الظاهر:

ففي حديث ابن عباس - وفي سنده ضعف - أنه ﷺ قال: «**إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب**» (٢).

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) ضعيف: فيه قابوس بن ظبيان ضعيف، رواه الترمذي (٢٩١٣).

القرآن هو ميدان السباق:

وصدق النبي ﷺ: إذ يقول: «**يُقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**» (١) فبالله هل رأيت أعظم من ذلك؟! إن هذا الحديث العظيم المبارك وسام على صدر كل حافظ لكتاب الله فهو يمثل الشرف الأعلى والمرتقى الأسمى الذى

(١) حسن: رواه الترمذي (٢٩١٤) وأبو داود (١٤٦٤).

يتبـوؤه حامل القـرآن - في دار الجزاء!
وصدق النـبي ﷺ : «**الماهر بـالقرآن مع السفرة الكرام البررة**» (١)

يا أخي:

مـا حال بـينـنا وبـين القـرآن إلا الذنوب والمعاصي والكسل والتراخي... وإيـثار الـدنيـا الفـانـية عـلي الآخـرة وأجورها الباقيـة.. أو قل إيثار الخزف الفاني على الجوهر الباقي.

(١) **صحيح**: رواه البـخاري (٤٦٥٣)، ومسـلم (٧٩٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

• **وأخيراً..**

الأمر يا أخانا - سهل ميسور وما ينقصك في الحقيقة هو العزيمة الصادقة على الارتباط بالقرآن فاجعل - حفظك الله ورعاك - لنفسك من اليوم - في سفرك إلى الآخرة - ورداً من القرآن - تقرأ كل يوم جزءاً! كم يستغرق الجزء منك؟ نصف ساعة أو يزيد قليلاً، هل تستكثر على ربك - الذى خلقك فسواك فعدلك، الذى أعدك وأمدك

وأسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة. . . . جئت إلى الدنيا عارياً ليس لك سن تقطع ولا جيب يحوى ويجمع، فانظر! كم معك اليوم من الدنيا؟

فصحتك وعافيتك منه. . ومالك وعقارك منه، أهلك وولدك منه، عقلك وذكاؤك منه، جاهك وصولجانك منه، أما نور عينيك فهذا شيء آخر، ولا أظنك تضن به على كتاب ربك الذى وهبك

كل هذه النعم.

وغداً يحمد القوم السرى ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾

[الشعراء: ٢٢٧]

والحمد لله رب العالمين